

الفرج بعد الشدة

[170] المتعطلين، وكان بباى شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت عن
تصريفه فرأيت ليلة في منامي أبى وكأنه يقول: ويحك يا بنى أما تستحى من الله عزوجل أن
تتشغل بأعمالك والناس ببابك يتلفون ضرا وهزالا هذا فلان من شيوخ الكتاب، وقد أفضى أمره
إلى أن تقطع سراويله وما يمكنه أن يشتري بدلها انظر أن لا تغفل أمره أكثر من هذا.
فانتبهت متعجبا واعتقدت الاحسان إلى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت إلى
دار خمارويه وإذا بالرجل على دويبة له ضعيفة ثم أومى إلى الترحل فانكشف فإذا هو لابس
خفا بال سراويل فحين وقعت عينى عليه ذكرت المنام وقامت قيامتي فوقفت في موضعي
واستدعيته وقلت يا هذا: ما حالك؟ وما صنعت بنفسك في ترك أذكاري أمرك ما كان في الدنيا
من يوصل إلى رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانية وعينت لك رزقها وهو
في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتي ألف دينار معونة وأمرت لك من الثياب
والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت. قال:
وضممت إليه من ينجز له ذلك. حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي
قال: خرج أخى أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ
بمصر ومعه زوجة كانت لابي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثنى أنه سلك في قافلة
كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال: فلما حصلت في أعماق السماوة أخفرتنا
خفراؤنا وجاء قوم من الاعراب طاهروهم علينا وأظهروا أنهم من غيرهم وقطعوا علينا
واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذى كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا
زاد فأيسنا من الحياة فقلت للناس: إن الموت لا بد منه على كل حال أقمنا في مكائنا أو
سرنا، ولان نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من أن نموت ها
هنا، وإن متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبية بنت
أخى لان أمها عجزت